

## الأزهر وتفسير القرآن

للأستاذ محمود حسن دنصور

المدرس بكلية الشريعة

لسنا بحاجة إلى القول بأن القرآن الكريم هو دستور الدين والدنيا، وأنه ينبوع الشريعة الصافي الذي يسدر حته كل ناظر في التشريع، أو ممرض للأحكام، أو منتفع بما فيه من التعاليم والآداب لسنا بحاجة إلى أن نقول ذلك فقد فرغ الناس منه، وآمنوا عن يقين به، وما تزال الحوادث تؤيده، والأيام تعززه وتريده قوة في النفوس، ومثانة في القلوب

ولسنا نريد أن ننكر على المفسرين الأولين للقرآن الكريم جهودهم الجبارة، ومحاولاتهم الكبيرة، وعنايتهم بتفسير هذا الكتاب الكريم، وخدمته من نواحي الفقه والبلاغة والإعراب، وغير ذلك مما تعرضوا له في تفاسيرهم، فلا شك أنهم أنوا من ذلك بما يفرضه عليهم واجبه نحو دينهم وعلومهم، ولغة قومهم وكتاب ربهم، فأدوا رسالتهم وأبرأوا ذمتهم أمام الله والناس ولو أن باحثاً عنى بأن يستعرض هذه الأسفار المختلفة، وأن يزنها بما توزن به الجهود القلمية والإنتاجات القومية لوجد من ذلك ما يملأ نفسه روعة ويملأ قلبه إعجاباً، ولجرى لسانه بألفاظ الثناء على هؤلاء العلماء، ولجزاهم عن دينهم وأمتهم خير الجزاء كل ذلك حق لا ريب فيه تحدثت به آثارهم، وآمن به كل من تأتى له للنظر في كتبهم، والبحث في مؤلفاتهم، كما آمن به علماء الأزهر

ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن ننكر ولا نستطيع إخواننا من العلماء ولا شيوخنا منهم أن ينكروا أن لهذه التفاسير عيوباً قد أحسها الناس من زمن طويل. وقد ازداد إدراكهم لها في ذلك العصر الذي تغيرت فيه طرق الإقناع، وتنوعت أساليب البحث والتفكير، وتهدأ للعقل فيه نوع من التوضوح لاشتغاله بالعلوم الكثيرة، ونظرة في الثقافات المختلفة. فمن هذه العيوب:

أولاً: تنفي الإسرائيليات في هذه للكتب المشهورة، كما تنفي الأوباء المهلكة حتى تجد للكثير من الآيات قد صنعت لها القصص، ودرت لها الخرافات، فأصبح الناظر في هذه الكتب مشغولاً بتفتيحها عن طريقه وإزالتها عن سبيله إن كان من العلماء، ومهدوا بأن تنزوه هذه الخرافات الباطلة في قرارة نفسه

وصحيم عقيدته، إن كان من العامة، وذلك هو السر فيما نشاهده من صعوبة مهمة العلماء المفكرين في توضيح هداية القرآن على وجهها الصحيح، وإيصالها سليمة إلى نفوس الناس

ثانياً: تخصص كثير من هذه الكتب في نواح من التفسير هي في نفسها سالحة وقيمة وطيبة ومحتاج إليها. فهذا تفسيرهم بالنحو والإعراب، وهذا تفسيرهم ببيان وجود البلاغة والإعجاز، وهذا تفسير جعل مهمته التوفيق بين آيات القرآن ومذاهب الفقهاء

وقلما تجد تفسيراً يفسر القرآن على نحو يشترك بمقصده

السامى، وغرضه النبيل من غرس العقائد الصحيحة السهلة التي لا تعقد فيها ولا غموض، وتبين الأحكام للناسمة الراضحة التي لا تشديد فيها ولا تمسف، وعرض التربية للقرآنية الروحية والعقلية عرضاً كريماً يتفق مع ما للقرآن من قيمة ذاتية وباعتباره كتاباً إلهياً خالداً سادراً عن الله الذي يعلم السر في السموات والأرض

ثالثاً: اندفاع كثير من المفسرين بدافع الرغبة في تأييد

مذاهبهم وتوطيد عقائدهم وآرائهم إلى تخرج للقرآن على آراء أصحاب

المذاهب والاعتقادات، ولو كان في ذلك الإخلال بالنظم والخروج به

عن الأساليب العربية المألوفة، والنزول به إلى أدنى درجات الكلام

فتراهم يقولون مذهب أهل السنة كذا، فيجب أن تؤول

الآية لتطابق هذا المذهب، ومذهب الحقيقة كذا، فيجب أن تفهم

الآية على نحو يمددها من هذا المذهب، وهذه الآية تتفق مع مذهب

الحنفية وتوافق مذهب المالكية، وهكذا، كأن القرآن إنما أنزله الله

على حساب أهل المذاهب والاعتقادات الصحيحة والباطلة على حد

سواء، وكأنه إنما جعل ليقاس على المذاهب لا ليقاس المذاهب عليه

٤ - هذا إلى ما تراه وتشم به من غموض بعض التفاسير

في العبارة، وتكلفتها في تحميل الآيات ما لا تحمل من المعاني،

وقصورها عن مجازاة المرض الحديث الذي أصبح له أهمية كبرى

في نظر العلماء والباحثين، والقراء والمنتفعين

هذه عيوب نسمح لأنفسنا بأن نصفها بالخطير، ولا نظن

أننا نبالغ إذا قلنا إنها نوع من الصد عن كتاب الله

وعلماء الأزهر قادرون على تلافى هذه العيوب، يستطيعون

الاضطلاع بمهمة إصلاحها وذودها عن كتاب الله، وتخليصه من

برائتها، وهم مطالبون بذلك بحكم عملهم، وطبيعة دراستهم،

ولن تغفر لهم الأمة أى نوع من أنواع التقصير مهما قيل في تبريره

من الأعداء

معانيها وراض صوابها ، وكشف عن محاسنها وهدايتها ، وذلك مشكلاتها للملحة فأخرجها سائنة مهلة سليمة متقبلة ، وعرضها عرضاً يشرح للنفس ويصل إلى القلم . إلا أن الأستاذ الإمام المرائي من مهام منصبه الخطير ما يشغله عن موالاة ذلك

إن اليوم الذي يقوم فيه العلماء بهذا العمل الجليل هو اليوم الذي يثبتون فيه الأمة عملياً جدارتهم برسالتهم التي يحملون ، والذي يدفعون به عن أنفسهم تلك المساهم المصوبة إليهم من أسدقائهم وخصومهم

فإن لا يكن هذا فلا أقل من أن يختار من تلك الكتب أكثرها نفعاً وأدائها إلى الصلاح فيتقدم له من يعلق عليه بما يميز طيبه من خبيثه ، ويبين صالحه من فاسده ، ويذبه على ما فيه من أخطاء علمية أو خرافات باطلة ، ويضمن ذلك التعليق للقول في الناحية أو للنواحي التي تتضمنها الآية وغفل عنها المفسر

وبذلك يبقى الأصل وينتفع للناس بما فيه من علم نافع ويشقون شر ما فيه من خرافات وأوهام تفسد دينهم ، وتضعف يقينهم . إن للنبذة للقاء على علماء الأزهر خطيرة ، والمسؤولية التي عليهم أمام الله والناس عظيمة ، وواجبهم نحو كتاب الله غير هين ، وذلك أقل مجهود يبرؤون به ذمهم ، ويخدمون به دينهم وأمتهم أما أن نكتفي بالقول بأننا أعلم الناس وكتبنا خير الكتب ، ودراساتنا أجود الدراسات ، فهذا مالا تليق به النبذة ، ولا تنتفع به الأمة . فالعمل للعمل إن كنتم جادين .

محمد حسن منصور

فإن الأثر الذي سيحدث التاريخ عنه إلى الأجيال المقبلة عن عمل رجال الأزهر في هذه الناحية ؟ أين التفسير الذي يلام عقول المصر ولا يتصادم مع حقائق العلم ، ولا يفرض في الناس الذين يطلب إليهم أن يتقبلوه هذه السداجة العقلية التي تفرضها فيهم تلك الكتب حين تقول في تفسير قوله تعالى : « إلا إبليس كان من الجن » إن الملائكة قد اشتبكوا في حرب مع الشياطين كانت لها مواقع ، وقد أنجحت معركة من هذه المارك عن إبليس أسيراً وهو صغير ، فأخذ الملائكة ، ونشووه نشأتهم وخرجوه في دائرتهم ، فكانت النتيجة أن خاطبه الله خطابهم ، وكلفه تكليفهم في كل الآيات الواردة في أمر الملائكة بالموجود لآدم ولا تفرض في الناس هذه العقول التي تسنخ الإيمان في التخيل والإسراف في مجازاة الأوهام حين تعرض عليهم قصة من ألد ما يتخيل ، ومن أهد ما يتصور حصوله ، وأشبه ما يكون بما يعرف بحكايات (أم القبول) تعرض هذا عند تفسير قوله تعالى : ( ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات اللجم . التي لم يخلق مثلها في البلاد ... )

فتحدثك بأن شداد بن عاد سمع بالجنة وبنائها وما فيها فهب لبناء مدينة إرم في صحراء اليمن ، وذلك بعد أن دانت له الملوك ، وتم له ملك الدنيا . ولما كان يريد أن تضارع الجنة إرم أو تضاربها ، بناها من ذهب وفضة وقوت و . . . ثم يخبرك بما كان بعد تمام بنائها الذي استمر ثلاثمائة سنة ، وما كان من أمر عبد الله ابن قلاية معها ، وما كان من حديث كعب مع معاوية في شأنها وطول في الحديث إذا عرضت لك غير هذا من تلك الخرافات والخيالات التي ملئت بها كتب المفسرين المشهورة

فإذا كانت الأمة قد أحست حاجتها الماسة إلى وضع معجم لغوي بسيط أو وسيط فكلفت بذلك مجمع اللغة الملكي ، فهو يحشد له قوته ويمد له عدته ، وسيخرج به على الناس إما قريباً وإما بعيداً ، فالأمة أيضاً بحاجة إلى من يسد مثل هذه الثغرة في التفسير ، فيكون لها تفسير يرتضيه العلماء وتتداوله الأيدي ، ويحصل الناس منه على ما ينتنون من تفهم هداية للقرآن واجتلاء محاسنه ، والاتقاع بتعاليمه ومبادئه

وللاهم المرائي في ذلك ما يصلح بحق أن يكون نموذجاً يحتذى ومبدأ يتبع ، ظهر به على الأمة في دروسه الدينية ، فقد تناول الآيات التي شرحها من جميع نواحيها الجديرة بالنظر ، فجلا

### ادارة البلديات — تنظيم

تقبل المعطيات لغاية ظهر ٤٠/٦/١٠

بمجالس بنها وميت غمر البلديين ومنفلوط

والفكرية وبلقاس المحلية عن توريد

شعير وتبين وتطلب الشروط من كل

مجلس نظير مائة مليم . ٦٧٧٤